منطق الطير

لفريد الدين العطار النيسابوري

ترجمة وتقديم

دكتور بديع محمد جمعة

الطبعة الرابعة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٦

- الكتاب : «منطق الطير»
- المؤلف : فريد الدين العطار النيسابورى
- ترجمة وتقديم : دكتور بديع محمد جمعة
- الطبعة الأولى: ١٩٧٥م (دار الرائد)
- الطبعة الثانية: ١٩٨٠م (قرار الأندلس . بيروت)
- الطبعة الثالثة: ١٩٩٧م (المكتب المصرى)
- الطبعة الرابعة: ٢٠٠٦م
- خطوط : أوس السنوسى
- الإخراج الفنى والغلاف: أميمة على أحمد

منطق الطيـر / تأليف : «صح» (ترجمـة) بديع محمد جمعة. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.

٤٦٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم . ـ (تراث)

تدمك ٧ ـ ١٠٧ ـ ٤١٩ ـ ٩٧٧

١ ـ الأدب الفارسى

(أ) جمعة ، بديع محمد (مترجم)

(ب) العنوان :

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٤٩٢ / ٢٠٠٦

I.S.B.N 977 - 419 - 107 - 2

ديوى٥٥ , ٨٩١

رئيس مجلس الإدارة

د . ناصر الأنصارى

مدير إدارة التراث
ورئيس التحرير

سعيد عبد الفتاح

مدير التحرير :

أميمة على أحمد

تقديم

أعلام التصوف الفارسي ثلاثة ، هم على التوالي سنائي الغزنوي وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومي . وقد حاز فريد الدين العطار هذه المنزلة الكبيرة بفضل ما قدمه للمكتبة الشرقية من مؤلفات ما زالت حتى اليوم تحظى بعظيم التقدير من جميع المهتمين بالتصوف الإسلامي داخل العالم الإسلامي ، ولدى جميع المستشرقين الذين أولوا التصوف الإسلامي جل اهتمامهم وعظيم همتهم .

وإذا كانت جميع كتب فريد الدين العطار تحظى - حتى اليوم - بعظيم التقدير ، فأعظمها جميعاً وأوسعها شهرة منظومته الخالدة (منطق الطير) والتي تشهد بإبداع صاحبها في النظم ، وتعد دليلاً عظيماً على تفوق الفرس في نظم القصة الشعرية منذ قرون عديدة ، كما أن المنظومة فوق كل ذلك واحدة من شوامخ الفكر الصوفي الإسلامي ، ولا غنى لأي مهتم بالتصوف الإسلامي عنها .

ونتيجة لما حظيت به هذه المنظومة الفريدة في فكرها وحبكة قصتها ، أقدم عدد كبير من المستشرقين على دراستها ونقلها إلى لغاتهم ، فقد ترجمت إلى اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية ،وحظيت كذلك باهتمام مفكري الشرق ، فترجمت إلى اللغتين الهندية والتركية .

ونتيجة للصلات العميقة الجذور بين الأدبين العربي والفارسي ، وكذلك الصلات الوطيدة بين التصوف العربي والتصوف الفارسي ، أقدمت على ترجمة هذه المنظومة إلى اللغة العربية ، لتكون في متناول

القارىء العربي المهتم بالتصوف الإسلامي ، والذي لم تتح له الفرصة لمعرفة اللغة الفارسية ، وليدرك مثقفونا أن الأدب الفارسي مليء بالكنوز التي تستحق منهم اهتماماً كبيراً لا يقل عن اهتمامهم بالفكر الأوربي ، ولعل هذا الاهتمام يحقق ما نصبو إليه من تكامل بين الثقافات الإسلامية المختلفة ، أملاً في تدعيم أواصر الأخوة بين شعوب العالم الإسلامي ، وبخاصة الشعبين العربي والإيراني .

وأخيراً أقدم عظيم شكري لكل من قدموا لي يد العون لإتمام هذه الترجمة ، سواء تمثل هذا العون في مشورة أتحفوني بها ، أو في كتاب أعانني على إنجاز الترجمة والدراسة حول المنظومة ، أو أي عون ساعدني على إتمام هذا العمل الكبير الذي يسعدني أن أقدمه إلى المكتبة العربية والله الموفق

بديع جمعة

بيروت في ١٨/ ٢/ ١٩٧٩

القِسمُ الأول

دراسة حول العَطّار

ومَنظومَته "منطِق الطّير"

الفصل الأول

التعريف بفريد الدين العطار

أولاً : اسمه ولقبه وكنيته وأسرته :

إن الغموض يكتنف سيرة العطار ويلقي ظلالاً على كل جانب من جوانب حياته ، ويمتد هذا الغموض إلى اسمه ولقبه وكنيته : اسمه باتفاق أغلب المؤرخين وكتّاب التذاكر هو « محمد » فقد ورد في (مصيبت نامه) ما ترجمته :

ـ واسمي محمد ، وقد أتممت هذا ـ أيها العزيز ـ على غرار ما فعل محمد

أما لقبه : فباتفاق أغلب المؤرخين هو : فريد الدين ، ويقول الأستاذ نفيسي إن مؤلف كشف الظنون عند الحديث عن جوهر الذات وجواب نامه ذكر أن لقبه « زين الدين » وهذا خطأ ، فمن المرجح أنها كانت فريد الدين وحصل تحريف من الكاتب أو من الطباعة [1]. !؟

كما يقول الأستاذ نفيسي إنه تخلص بهذا الاسم في اثنين وثمانين غزلية من مجموع الغزليات التي وصلتنا من إنتاجه والبالغ عددها أربع

---

(١) نفيسي : جستجو ، ص : يو

وخمسون وسبعمائة غزلية[1]

وكنيته ـ كما يقول عوفى ـ أبو حامد[2]، ولأنه كان معاصراً للعطار فإن قوله يرجح أقوال الآخرين الذين قالوا إن كنيته « أبو طالب »

ولكننا نجد فريد الدين كثيراً ما كان يذكر اسمه على أنه « العطار » فقد قال في منطق الطير في ختم المنظومة :[3]

ـ لقد نثرت يا عطار نافجة المسك المليئة بالأسرار ، على هذا العالم في كل آونة .

وهذا الاسم الذي تخلص به العطار كثيراً ، قد لصق به منذ كان يعمل صيدلياً ويملك دكاناً للعطارة .

أما والد العطار فاسمه ابراهيم وكنيته « أبو بكر » ، وكان يعمل عطاراً هو الآخر ، وكان من مريدي الشيخ الصوفي قطب الدين حيدر في قرية « كدكن » إحدى قرى نيسابور[4].

وعلى الأرجح فإن والده عمر كثيراً ، ربما إلى أن ألف العطار منظومته « أسرار نامه » ويحتمل أن يكون توفي عن ثمانين عاماً وذلك في الفترة الواقعة بين عامي ٥٩٠ و٦٠٥ هـ[5]

والدته : ويفهم من « أسرار نامه » ـ على حد تعبير فروزانفر ـ أن أمه كانت على قيد الحياة يوم وفاة والده ، كما يستفاد من « خسرونامه » أنها

---

(١) نفس المرجع السابق ص : به

(٢) فروزانفر : شرح أحوال ونقد . . . ص : ٢

(٣) منطق الطير نسخة باريس ١٨٥٧ م ص : ١٧٥

(٤) عزام : التصوف وفريد الدين العطار ص : ٥٢ القاهرة ١٩٤٥

(٥) فروزانفر : شرح أحوال . . . . عطار نيشابوري ص : ٤

توفيت أثناء تأليف هذا الكتاب ، وأنها كانت من أهل المعنى[1]، وقد بكاها العطار في خاتمة « خسرو وكَل » ؛ فقد قال[2]:

«لم يكن لي أنس إلا بأمي ، وقد ذهبت ، كم أشدت أزري هذه الضعيفة التي كانت خليفة من مملكة الدين ، لقد كانت ضعيفة كالعنكبوت ، ولكنها كانت لي حصناً ودرعاً » وكانت كما يقول : رابعة الثانية بل أتقى من رابعة ، بقيت تسعة وعشرين عاماً تلبس حقير الثياب وخشنها ، وكانت تقوم الليل دعاء وبكاء .

أجداده : أما عن أجداده فيذكر بروان جده وجد والده على أنهما « مصطفى » « وشعبان » وذلك نقلاً عن كشف الظنون لحاجي خليفة[3]

ولكن الأستاذ نفسي يعترض على هذين الاسمين ، فمصطفى لم يرد ضمن تسلسل اسم العطار في الكتب الموثوق في صحتها ، أو التي ألفت في عصره .

كما أن اسم « شعبان » لم يسبق أن تسمى به أحد في إيران حتى القرنين السادس والسابع الهجريين ، وقتما كان يعيش العطار وأسرته ، فهذه الأسماء التي على غرار الشهور العربية مثل محرم وربيع ورجب وشعبان ورمضان قد راجت بعد ذلك في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع في غرب آسيا وآسيا الصغرى ومصر . ثم انتشرت هذه الأسماء بعد ذلك في أماكن عدة[4] .

وأنا أوافق الأستاذ نفسي على اعتراضه هذا ، فلا نجد كتاباً آخر من

---

(١) نفس المرجع السابق ص : ٥

(٢) عزام : التصوف وفريد الدين العطار ص : ٤٨

(٣) براون : تاريخ الأدب في إيران جـ ٢ ص : ٦٤٣

(٤) نفيسي : جستجو ، ص : يز

كتب التراجم يذكر اسم جد العطار على أنه « مصطفى » أو اسم جد والد العطار على أنه « شعبان » إلا حاجي خليفة ، وهو لا يؤخذ برأيه ، لأن المعروف في أغلب كتب التراجم أن جد العطار اسمه اسحق ويكنى بأبي يعقوب .

وبعد ، فإن الاسم الحقيقي للعطار هو :

« فريد الدين أبو حامد محمد بن أبي بكر ابراهيم بن أبي يعقوب اسحق العطار »

أولاده :

أما عن أخبار من خلفهم العطار من أبناء فالشك يكتنف كل ما قيل عنهم فمن قائل إنه لم ينجب مطلقاً . ومن قائل إنه أنجب ولداً واحداً .

وهناك قصة يرويها أحد كتاب التراجم ، وقد أوردها « روحاني » في مقدمة ترجمته الفرنسية لإلهي نامه[1] :

« إن العطار كان له عشرة أبناء وقد وقعوا في أسر قطاع الطريق . . . ـ وهؤلاء اللصوص أخذوا يضربون أعناقهم الواحد تلو الآخر ، والعطار في كل مرة يرفع عينيه إلى السماء وهو يبتسم ، وما أن جاء دور ابنه العاشر والأخير حتى قال ذلك الابن : ما أقسى ذلك الأب الذي يبتسم وهو يرى أولاده يموتون تلك الميتة ، فيرد العطار قائلاً : بني العزيز لا حول لنا ولا قوة أمام من يأمر بهذا ـ أي الله ـ ، وما أن سمع اللصوص ذلك الجواب حتى أطلقوا سراح الولد العاشر ، وألقوا بأنفسهم

---

(١) Rouhani' Le livre Divin. P.24 Paris 1961 ويقول الأستاذ نفيسي : لعل هذا الكاتب : فزوني استرابادي » ، وقد أورد هذه القصة في كتاب « بحيرة » ص : ٣٣٥ طبع طهران ١٣٢٨ (انظر جستجو ، ص : يح)

على قدم أبيه يطلبون المغفرة وقد تابوا وأصبحوا من مريديه .

ولكن هذه القصة يمكن الشك في صحتها ، فلا نجد إشارة ما في كتبه إلى هذه الكارثة ، ودليل آخر على عدم صحتها أن العطار كان له ولد واحد اسمه ضياء الدين يوسف ، وقد نصحه كثيراً في نهاية « بلبل نامه[1] ولكن إحجام العطار ـ وهو الكثير القول ـ عن ذكر زوجته وأولاده في كتبه الصحيحة النسب إليه ، يجعلنا نشك في أنه تزوج وأنجب ، أو أنه عاش حياة أسرية مستقرة . وربما أن « فزوني استرابادي » ذكر هذه الحكاية للتدليل على أن العطار كان لا يهتم بأمور الدنيا ، ولا بأولاده كذلك وأنه اختلقها خلقاً ليثبت صحة ما يقول . خاصة وأن هذه الحكاية لم يرد ذكرها في لباب الألباب ولا في تذكرة الشعراء لدولتشاه ، وهما قريبا العهد في تأليفهما بعصر العطار .

كما لم يؤثر عن العطار أنه كان صاحب طريقة حتى يصبح هؤلاء اللصوص من مريديه . وهذه القصة لا تعدو أن تكون من باب الخرافات التي تحاك حول الشخصيات الشهيرة على أنها كراماتٌ لهم ، دون أن تستند إلى الواقع أو الحقيقة .

ثانياً : تاريخ ميلاده ومدة حياته

اختلف الدارسون قديماً وحديثاً في تحديد عام معين ولد فيه العطار ونتج عن هذا اختلافهم في تحديد مدة حياته ولكي نصل إلى رأي في هذه المسألة ، يجب أن نعرض طائفة من آراء كتاب التراجم ثم نحاول أن نستخلص منها ما نعتقد أنه التاريخ الصحيح لمولده . وهذا يساعدنا في معرفة مدة عمره إذا استطعنا أن نحدد كذلك تاريخ وفاته .

---

(١) نفيسي : جستجو ، ص : يط

وأول كتاب أرخ له هو « لباب الألباب » المؤلف عام ٦١٧ هـ ، ولكنه لم يشر على الإطلاق إلى تاريخ ولادته[١] .

وكذلك « تاريخ گزيده » المؤلف عام ٧٣٠ هـ لم يشر هو الآخر إلى تاريخ ولادة العطار ولا مدة حياته[٢] .

ثم يأتي بعد ذلك نفحات الأنس لجامي ، وفيه يقول : « وحضرة الشيخ استشهد في ٦٢٧ هـ على يد الكفار وسنه المبارك في ذلك الوقت ـ كما يقولون ـ ١١٤ سنة[٣] .

أي أن تاريخ ولادته هو عام ٥١٣ هـ . ولكن مما يجعلنا نشك في صحة هذه التواريخ أن جامي لم يسق الدليل على صحتها مكتفياً بقوله « كما يقولون » وهذه العبارة تدفع الإنسان إلى الشك أكثر من اليقين ، كما أنه لم يحدد لنا من هؤلاء الذين يقولون . هل هم العامة ؟ أو أنه أخذها عن مصدر سابق موثوق به .

ثم يأتي دور « دولتشاه » فيقول : « ويمتاز العطار بأنه كان معمراً . . ، فقيل إنه بلغ المائة والأربع عشرة سنة ، وقد ولد في عصر السلطان سنجر في السادس من شعبان عام ٥١٣ هـ[٤] .

ونلاحظ أن دولتشاه نفسه رغم أنه يحدد تاريخ ولادة العطار بالشهر واليوم إلا أن قوله يدعو إلى الشك أيضاً في صحته فقوله « قيل إنه . . . . . » لا تحسم خلافاً بل تثير شكاً ، وربما أنه أراد أن يثبت

---

(١) القزويني : مقدمة تذكرة الأولياء للعطار . حـ ١ ص : ج إيران ١٣٢١ هـ

(٢) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

(٣) جامي : نفحات الأنس . تعريب تاج الدين بن زكريا النقشبندي . مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ح : ٩٧٩٥ ورقة : ٣٦٢

(٤) دولتشاه : تذكرة الشعراء . ليدن ١٩٠٠ م ص : ١٨٧

صحة رأيه فحدد لنا شهراً معيناً ويوماً محدداً لهذه الولادة حتى يؤثر على القارىء فيأخذ برأيه ولو كان دولتشاه صادقاً فيما يقول لأخبرنا من أين استقى هذا التاريخ .

وقد نقل صاحب « خزينة الأصفياء » عن صاحب « مخبر الواصلين » عدة أبيات هذه ترجمتها[1] :

ـ شيخ الدنيا والدين فريد الدين ، شمس فلك الصدق واليقين

ـ عمره مائة وأربع عشرة سنة ، وذلك من لطف الله المتعال

ـ واعتبر العقل تاريخ وفاة ذلك المسعود ، موافقاً لجملة « بلبل الجنة والجنان » .

وجملة : « بلبل جنة وجنان » بحساب الجمل تعني ٦٢٧ هـ ، وعلى هذا فيكون مولده عام ٥١٣ هـ ومدة حياته ١١٤ سنة .

ونلاحظ أن هذا المرجع هو الآخر لم يذكر لنا المصدر الذي استقى منه المؤلف هذه التواريخ .

ويذكر أمير علي في كتابه « روح الإسلام » تاريخ ولادة العطار على أنها عام ٥٤٥ هـ . ويعلق على هذا الأستاذ عزام بقوله[2] :
« وهذا غلط لا شك فيه . ومن الأدلة عليه أن الشاعر يتكلم في منظومته « إلهي نامه » عن السلطان سنجر كلامه عن الأحياء وسنجر مات سنة ٥٥٢ فلو ولد الشاعر سنة ٥٤٥ لكان كلامه هذا عن سنجر وهو دون العاشرة من عمره » .
ولكن بمراجعتي لمنظومة العطار « إلهي نامه » لم أجد إلا نصوصاً

---

(١) نفيسي : جستجو . . . . . ص : س
(٢) عزام : التصوف وفريد الدين العطار ص : ٤٩

ثلاثة ذكر العطار فيها سنجر ولا تدل ـ كما قال عزام ـ على أنه يتحدث عن سنجر حديث الأحياء ولذا فاعتراض الأستاذ عزام مردود ، خاصة وأنه لم يذكر لنا هذه الأبيات التي يشير إليها حتى يؤكد بها كلامه هذا [١] .

لنترك هؤلاء الكتاب السابقين ، ونناقش آراء الباحثين في العصر الحديث لعلنا نظفر منهم بما يضع الأمور في نصابها . ولكننا نجد أن التضارب يسيطر على كتاباتهم أيضاً . وهذه طائفة من أقوال الباحثين في العصر الحديث .

نلاحظ أن جارسان دي تاسي في مقدمة ترجمته لمنطق الطير[٢] قد اكتفى بنقل تاريخ ولادة العطار عن دولتشاه وهو عام ٥١٣ هـ دون أن يرجحه أو يفنده .

أما بيزي Pizzi فقد تابع جارسان ودولتشاه كذلك وحدد تاريخ ولادته بعام ٥١٣ هـ وأضاف قائلاً : وقد عاش عمراً طويلاً زاد على مائة عام وعشرة[٣]

والأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني يقول في مقدمة تذكرة الأولياء ، نشر إيران عام ١٣٢١ هـ ، وذلك بعد ذكره ذلك التضارب الذي وقع فيه المؤرخون قديماً وحديثاً حول تحديد سنة ولادته ومدة عمره[٤] :

« ولذا اختلف الناس في طول عمره ، فالقاضي نور الله ، ومحمد

---

(١) إلهي نامه للعطار : نشر روحاني . إيران ، تهران ١٣٢٩ هـ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ، ١٨٦ ـ ١٨٨ ، ١٩٧ ، ١٩٨

(٢) Mantic Uttair. Garcin. Paris 1962 P. 2

(٣) Pizzi' Storia della peesia persiana. volume I Torino 1894 P. 220

(٤) القزويني : مقدمة تذكرة الأولياء للعطار جـ : ١ ص : و

دارا شكوه في سفينة الأولياء ، وتقي كاشي ، ورضا قليخان يقولون إن العطار بلغ ١١٤ عاماً ، ولكن من المحقق أنه عاش حتى بلغ السبعين وبضع سنوات ، فهو يقول في ديوانه ما ترجمته :

ـ وإذا كان الموت قد أشرف على الوادي مائة مرة ، فإن عمرك قد جاوز الستين إلى ما بعد السبعين ببضع سنين .

ثم يقول : ولا يعلم أنه عاش أكثر من هذا القدر[١]

والقزويني يحدد عصر العطار استناداً إلى فقرة جاءت في مقدمة تذكرة الأولياء للعطار[٢] ، وهذه ترجمتها :

« مثلت ذات يوم أمام مجد الدين الخوارزمي ، فرأيته باكياً ، فقلت خيراً . قال : ما أكثر العلماء الذين كانوا يشبهون الأنبياء عليهم السلام في هذه الأمة ـ فقد قال الرسول ـ علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل . . » ثم يقول القزويني : « وفاة الشيخ مجد الدين كانت عام ٦٠٦ هـ أو ٦١٦ هـ ، فعلى وجه التقريب يعلم أن عصر العطار هو نفسه عصر الشيخ مجد الدين »[٣]

وهكذا نجد أن القزويني ينهي كلامه دون أن يحدد عاماً معيناً لمولد العطار وإنما اكتفى بالشك في عام ٥١٣ هـ الذي ذكره دولتشاه[٤] دون أن يذكر الحجج والأسانيد التي تدعوه إلى هذا الشك .

أما المستشرق الإنجليزي براون فذكر أن مولد العطار كان سابقاً على ٥٤٥ أو ٥٥٠ هـ[٥] ولكن دون أن يذكر حججه وأسانيده التي تؤيد رأيه

(١) القزويني : مقدمة تذكرة الأولياء جـ ١ ص : و

(٢) تذكرة الأولياء للعطار : جـ ١ ص : ٦ إيران : ١٣٢١ هـ

(٣) القزويني : تذكرة الأولياء للعطار جـ ١ ص : ز

(٤) نفس المرجع السابق ص : و

(٥) براون : تاريخ الأدب في إيران جـ ٢ ترجمة الدكتور الشواربي ص : ٦٤٣ القاهرة ١٩٥٤ م

ويعلق الأستاذ نفيسي على أن عمر العطار قد بلغ ١١٤ عاماً فيقول : في رأيي إن هذا يكاد يكون محالاً أو في حكم النادر الذي يقبله العقل ويسوق على ذلك براهين عدة أهمها[١] :

كان العطار ـ كما يقول هو ـ من تلاميذ الشيخ نجم الدين كبرى ، وقد ولد هذا الشيخ عام ٥٤٠ هـ ، فإذا كان العطار قد ولد حقيقة عام ٥١٣ هـ لكان أكبر من نجم الدين بحوالي سبعة وعشرين عاماً ، فهل يعقل أن يلجأ العطار إلى من يصغره سناً بسبعة وعشرين عاماً ليكون له مريداً ، والعطار لم يكن ذا منزلة صغيرة . . . . فقد اطلع على أربعمائة كتاب وكان الناس يقصدونه طالبين علمه ومعرفته .

وسند آخر يسوقه نفيسي ، فيقول : إن العطار لم يذكر في شعره أنه بلغ أكثر من التسعين . . . . ثم يورد أبياتاً يخبرنا فيها بأنه وصل إلى حد المشيب ، وأنه تعدى السبعين بل وصل إلى حد التسعين ، فقد قال ما ترجمته : ـ

ـ وهكذا وضح أمره إذ نهض ذلك الشيخ ذو التسعين عاماً ، وقد عقد الزنار وهو على هذه الحال .

وعلى هذا فالأستاذ نفيسي يحدد مدة عمر العطار بتسعين عاماً بالإضافة إلى أنه يرجح أن وفاة العطار كانت عام ٦٢٧ هـ ، أي أن عام ولادته ـ كما يرى ـ هو ٥٣٧ هـ

ولكن هذا البيت الذي ساقه نفيسي ليس دليلاً قاطعاً لأنه لا يتحدث فيه عن نفسه بل يتحدث فيه عن شيخ آخر . ويشاركني هذا الرأي الأستاذ فروز انفر والأستاذ روحاني .

---

(١) نفيسي : جستجو . . . . ص : كح وما بعدها

والأستاذ فروزانفر يرى أن العطار ولد عام ٥٤٠ هـ . وأنه عاش أكثر من السبعين ، ولكن أقل من الثمانين ، وهو يؤكد وجهة نظره بعدة قرائن ، هذه أهمها: (١)

١ ـ إن العطار لم يذكر في شعره أنه بلغ أكثر من السبعين إلا ببضع سنين .

٢ ـ إن العطار ذكر بعض المشايخ ذكره للأموات وهم : ركن الدين آكاف المتوفى عام ٥٤٩ هـ ، وأبو منصور مظفر بن أردشير عبادي المتوفى عام ٥٤٧ هـ ، ومحيي الدين محمد بن يحيى الذي قتل في وقعة الغز .

٣ ـ إشارة العطار إلى حادثة قحط نيسابور في بعض كتبه إشارة شخص لم يكن حاضراً إياها . وقد وقع بنيسابور أكثر من قحط عام ٥٣٢ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢ هـ(٢)

ولكن بعد أن ذكرنا كل هذه الآراء التي قالها جمع كبير من أصحاب التراجم والباحثين ، أي التواريخ نراه صحيحاً لمولد العطار ؟

في رأيي أن أصح التواريخ لولادة العطار ما يقع بين عامي ٥٤٥ : ٥٥٠ هـ . وذلك لعدة أدلة :

أولاً : الرأي القائل بأنه ولد عام ٥١٣ هـ رأي خاطىء فأول من ردد هذا التاريخ دولتشاه وهو معروف بأغلاطه وأخطائه ثم تناقله المؤرخون من بعده ، كما أن هذا التاريخ مرفوض كذلك استناداً إلى الأدلة التي ذكرتها من قبل نقلاً عن الأستاذ نفيسي والأستاذ فروز انفر.

---

(١) فروزانفر : شرح أحوال ونقد . . . . . ص : ٦ ـ ١٦ طهران ١٣٣٩ : ١٣٤٠ هـ ش

(٢) راجع أخبار سنوات القحط في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير حوادث سنة ٥٣٢ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢ هـ

ثانياً : إن العطار لم يذكر أنه بلغ أكثر من السبعين إلا ببضع سنين ، وأقواله بطبيعة الحال خير مصدر يعتمد عليه في تأريخ حياته ، فهو يقول محدثاً نفسه ما ترجمته :[1]

ـ إن كنت قد قضيت سبعين عاماً ، فليس هذا بعجيب ، ولكن العجيب أن نفسك تزداد سوءاً في كل لحظة .

كما قال ما ترجمته :

ـ لقد جثم الموت أمام مدخل الوادي مائة مرة ، والآن تخطى عمرك الستين ووصل إلى ما بعد السبعين ببضع سنين .

وعلى هذا فلا نستطيع أن نقول إنه عاش أكثر من السبعين إلا ببضع سنين ، وإذا كنا نفترض بأن وفاته كانت عام ٦٢٧ هـ[2] فعلى هذا الفرض يكون مولده ما بين عامي ٥٤٥ ، ٥٥٠ هـ .

ثالثاً : إن عوفي ـ وهو المعاصر للعطار ـ اعتبر العطار من الشعراء الذين عاشوا بعد عصر سنجر[3] ، ونحن نعرف أن سنجر توفي عام ٥٥٢ هـ فلو كان العطار قد ولد عام ٥١٣ هـ لكان قد عرف كشاعر قبل وفاة سنجر ، وعلى هذا فهو لا بد وأن يكون قد ولد في أواخر حكم سنجر ، بين عامي ٥٤٥ ، ٥٥٠ هـ كما حددنا .

ولكن بعد كل هذا ، هل يعد هذا التاريخ الذي حددناه لمولد العطار قاطعاً ؟ بطبيعة الحال : لا ، ولكنه أكثر التواريخ قبولاً في رأيي ، إلى أن يظهر الدليل القاطع بعد ذلك في أثر من آثاره المفقودة .

---

(١) الأبيات التي يذكر فيها سنه ، موجودة ببحث الأستاذ نفيسي : جستجو . . . . ص : لا ـ لد

(٢) ترجيح هذا التاريخ سأتعرض له فيما بعد أثناء الحديث بالتفصيل عن تاريخ وفاته .

(٣) فروزانفر : شرح أحوال ونقد . . . . ص : ٦

ثالثاً : دخوله في الطريق الصوفي

عرف فريد الدين النيسابوري بالعطار لأنه كان يعمل بالعطارة والطب ، ويقال إن العطار قد ورث العطارة عن أبيه الذي اكتسب منها ثروة طائلة حتى قيل إنه أصبح مالكاً لجميع حوانيت العطارة في نيسابور[١]

ولكن هل ظل شاعرنا طوال حياته عطاراً وطبيباً ؟

للإجابة على هذا السؤال نجد أن الشائعات تتدخل ، وتحاول أن تنسج حول هذه القضية هالة من الأقاويل والأباطيل :

يقول عبد الرحمن الجامي في كتابه نفحات الأنس : « ذات يوم كان العطار في دكان عطارته فجاءه هناك فقير ، وقال له عدة مرات : أعطني شيئاً لله ، فلم يأبه بالفقير . فقال الفقير : أيها السيد كيف تموت ؟ فقال العطار : كما ستموت أنت . فقال الفقير : أيمكنك أن تموت مثلي ؟ فقال العطار : نعم . فوضع الفقير قدحه تحت رأسه وقال : الله ! وأسلم الروح . فتغير حال العطار وتخلص من متجره تواً ، وجاء إلى هذا الطريق »[٢] .

ورواية دولتشاه قريبة من هذه الرواية ، وإن كانت بها بعض الإضافات البسيطة ، ويختمها دولتشاه بقوله : « وذهب إلى صومعة الشيخ العارف ركن الدين الأكاف ، وطلب التوبة على يد هذا الشيخ ، وشغل بعد ذلك بمجاهدة نفسه وبالرياضة الروحية ، وظل في حلقة الدراويش عدة سنين . . . .[٣]

---

(١) Rouhani Le livre Divin Paris 1961 P. 13

(٢) جامي : نفحات الأنس تعريب النقشبندي . مخطوطة بدار الكتب المصرية ح : ٩٧٩٥ ورقة : ٣٦١

(٣) دولتشاه : تذكره الشعراء ليدن : ١٩٠٠ ص : ١٨٨

ويفهم من روايتي جامي ودولتشاه أن تحول العطار إلى التصوف كان فجائياً ، وهذا الأمر يدعو إلى الشك والريبة ، وهناك أكثر من دليل على كذب هذه القصة .

أولاً : كان العطار نفسه مولعاً بالصوفية منذ صغره ، فهو يقول في مقدمة تذكرة الأولياء ما ترجمته : (١)

وباعث آخر ـ لتأليف الكتاب ـ هو أنني بلا سبب كنت أشعر منذ الطفولة بمحبة زائدة تجاه هذه الطائفة تموج في قلبي ، كما كانت أقوالهم تسعدني في كل آونة .

أي أنه كان بالصوفية شغوفاً منذ الصغر ، وعلى هذا فإننا نستبعد أن يكون قد تحول تحولاً مفاجئاً إلى الطريق الصوفي .

ثانياً : يخبرنا العطار بأنه ألف « مصيبت نامه » ، « وإلهي نامه » في دكانته حيث قال ما ترجمته :

ـ مصيبت نامه وهي حسرة العالم ، وإلهي نامه وهي الأسرار المشهودة

ـ بدأتهما في الصيدلية وسرعان ما فرغت من كلتيهما .

وعلى هذا فالعطار كان صوفياً قبل أن يهجر دكانه ، والحقائق الصوفية في هذين الكتابين لا يمكن أن يتفوه بها مريد جديد ، بل صادرة عن شيخ خبر الطريق وعرفه معرفة تامة .

ولكن ، إذا كان العطار صوفياً منذ صباه ، فلم هجر دكانه ؟

---

(١) العطار : تذكرة الأولياء جـ ١ ص : ٥ إيران : ١٣٢١ هـ